السعودية
عالم الكتب
العدد رقم 3
1 نوفمبر 1980

و يفيد تتبع الموضوع حيث تخصص للمصطلح (وهو دال على الموضوع) بطاقة تسجل عليها أرقام الوثائق الخاصة به.. أما المصطلح الثانى فهو مرداف لما يعرف بنظام الوثيقة Document System حيث تخصص لكل وثيقة بطاقة يسجل عليها ما يدل على ما تشتمل عليه من موضوعات .. كذلك استعمل المترجم في نفس الصفحة «اللفظ الكلى» كمقابل لكلمة Uniterm والمقابل العربي المستعمل لهذا المصطلح حتى الآن هو «المصطلح الواحد» و يعلم المترجم أن ما يكتنف استعمال هذا المقابل العربى من غموض أقل بكثير مما يثيره المصطلح الاجنبى من بلبلة .. ونرجو أن يوفق المترجم في اعادة النظر في مثل هذه الحالات عند اصدار الطبعة الثانية من ترجمته بمشيئة الله.

هـ ــ **يؤدى تعدد البدائل المتاحة للمترجم العربي عند ترجمة عنوان الكتاب إلى صعوبة الاختيار**، خاصة وأن على المترجم مراعاة الاعتبارات الموضوعية واللغوية الأولوية لأن العنوان هو الوسيمة الأساسية للكتاب. ولا اعتقد أن المترجم كان بحاجة لان يدخل هذا التعديل في العنوان و يستعمل كلمة «تنظيم» التى لا تقتصر دلالتها على المعالجة الموضوعية خاصة وأنه يعلم أن هناك كتابين على الاقل لهما العنوان الذى اختاره، أولهما زمنيا كتاب:

Bliss, H. E. The organistation of Knowledge in libraries. 2nd ed. N. Y., Wilson, 1939.

وثانيهما كتاب نيدام الذى سبقت الاشارة إليه .. وكلاهما مختلف في طبيعته ومحتواه عن كتابنا هذا.

ومهما يكن فان هذه الملاحظات لا يمكن بحال أن تنال من قيمة العمل الاصلي وما بذل من جهد مضن لجعله في متناول القارئ العربى **كأوفي مرجع يروى قصة المعالجة الموضوعية كاملة.**

قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم لوليد قصاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عرض يوسف نوفل

قضية عمود الشعر في النقد العربي القديم /وليد قصاب . ــ الرياض : دار العلوم ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م ،

قضية من قضايا الأدب العربي تُناقش ــ لأول مرة ــ بشكل شامل مفصل . هذه القضية هي قضية عمود الشعر .

وهي قضية يعتبر تناولها تناولاً لتصوّر نقادنا العرب للشعر وما ينبغى أن يكون عليه ، كما يعتبر هذا التناول رصداً لتطور نظرة النقاد العرب للشعر بين القديم والحديث ، أى حين كان الناقد العربي محافظا تقليديا لا يؤمن بالتجديد ، ثم لما تطوّر ذوقه فأقبل على التجديد .

والحديث عن هذه القضية يتصل ــ في أساسه ــ بقضايا متصلة بها منها :

السرقات الأدبية ، وقضية اللفظ والمعنى ، والموقف من البديع .. الخ .

من القدماء الذين تناولوا هذه القضية :
الآمدى ، والجرجانى ، والمرزوقي

ونتيجة هذا الثراء في الموضوع رأينا الدكتور وليد قصاب يتخذ لذلك خطة علمية تتضمن تمهيداً وأربعة فصول .

تحدث في التمهيد عن دور الشعر وخطره في حياة العرب وعنايتهم به حتى صارت له رسوم ثابته عريقة .

ثم كان الفصل الأول عن : القدماء والمحدثين من النقاد ومن الشعراء ، ثم مظاهر التجديد ومنها التجديد في مقدمة القصيدة ، وفي البديع ، والمعاني ، والألفاظ ، مع وقوف أمام مذهب البديع نشوئه وتطوره .

ثم انتقل الكاتب إلى عرض نظرية عمود الشعر لدى أعلامه : الآمدى ، والجرجانى ، والمرزوقى .

فكان الفصل الثاني عن مذهب كل من أبى تمام والبحترى في الشعر وما نجم عن موازنة الآمدى بين مذهبيها وخصومتها الفنية حتى نشأ مصطلح عمود الشعر على يد الآمدى واكتمل تصوره له . بل ذكره له للمرة الأولى في تاريخ الشعر العربي حين قال عن البحترى .

«البحترى أعرابي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل ، وما فارق عمود الشعر المعروف» (١).

وإذا كان للآمدى فضل ذكر عمود الشعر أكثر من مرة في مجال نقده شعر البحتري ، فإن فضل تحديد المصطلح وشرح ماهيته وعناصره كان للمرزوقي .

لهذا كان الفصل الثالث من الكتاب عن جهود الجرجانى في هذا المجال ، ثم كان الفصل الرابع عن المرزوقي .

وأرى أن هذا الفصل — وهو الأخير — هو أهم ما في الكتاب، ولعله يمثل هدفه الأساسي .

تناول هذا الفصل : تصور المرزوقي لعمود الشعر ، وشرحه عناصره ومناقشة لها : شرف المعني وصحته ، جزالة اللفظ واستقامته ، الإصابة في الوصف ، المقاربة في التشبيه ، التحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيذ الوزن ، مناسبة المستعار منه للمستعار له ، مشاكلة اللفظ للمعنى وشدّة اقتضائها القافية حتى لا منافرة بينها .

ونتصور أن الخطة العلمية التى طبقت المنهج في الكتاب قد أحاطت بقضية عمود الشعر في خطين متوازيين شكّلا روح المنهج الذى ارتآه المؤلف . ويمكن القول إنه منهج فني وتاريخي .

أما كونه منهجا تاريخيا فيتضح — إجمالا — في كلمة (ظهورها) في عنوان الكتاب ، ثم يتضح — تفصيلا — في تلك النظرة التاريخية الراصدة لنشأة المصطلح لأول مرة على يد الآمدى ثم تعقّب مراحله من بعده على يد الجرجانى ثم المرزوقى .

والمنهج التاريخي هنا لا يبعد عن مجالات الدراسة البلاغية والأدبية — كما قد يتوهم البعض — إذ أنه يستعير من التاريخ روحه الراصدة الناقدة الفاحصة المتعقّبة ، وهذا مالا يستغنى عنه أى فن في دراسته وتقويمه .

أما كونه منهجا فنيا فيتضح — إجمالاً — في كلمة (تطورها) في عنوان الكتاب ، ثم يتضح تفصيلا — في نظرة المؤلف الذي أفاد من دراسته في هذا الحقل ، واتكأ على سليقة فنية استمدّها من شاعريته فجاءت الدراسة الفنية للموضوع . يقول عن مذهب الآمدى في نقد أبي تمام والبحتري وتعصبه ضد أبي تمام :

«ونحب أن نخلص مما تقدم إلى أن الآمدي إن لم يكن تعصب حقا على أبى تمام ، فإن ذوقه على الأقل لم يكن معه . بل كان مع البحترى ، وهو لذلك لم يستطع أن يلتزم بما كان قد وعد به من عدم التدخل ، وإبداء الرأى في أى الشاعرين أفضل ؟ وأنه سيقف على الحياد في هذه الموازنة بينهما . فالحق أنه لم يستطع هذا الحياد ، فقد بدا واضحاً أنه من أنصار البحترى ، وأن ذوقه معه ، ونحن لا نستطيع أن نحاسب الآمدى على ذلك ، لأن الناقد لا يمكن أن يبعد ذوقه وهو يدرس عملا فنياً و يصدر حكماً عليه ..» (٢).

وقد ساق المؤلف ذلك في معرض حديثه الفنى عن ذوق الآمدى (٣) ، ونلتقي بمثل هذه الدراسة الفنية في كثير من جنبات البحث وهي عديدة منها : حديثه عن تصور الجرجانى لعمود الشعر (٤) ، وتصور المرزوقي لعمود الشعر (٥) ، ثم شرح عناصر المرزوقي ومناقشته لها (٦) ، وتحليل وموازنة بين التصورات الثلاثة لعمود الشعر (٧) . وإن شئت قلت النص الرابع كله .

أنطلق من هنا إلى القول بأن روح المنهج في الكتاب يسبغ على البحث سمة خاصة انطلاقا من السمة العامة التى يحملها اسم الكتاب ، هذه السمة الخاصة التى اشتهرت مع عمود الشعر وعُرف بها وعُرفت به وهى «قضية عمود الشعر عند المرزوقي ظهورها وتطورها» ..

إن هذا يمثل هدف الكتاب حقا ، ولا يعنى هذا أننى لا أرى ضرورة للفصلين السابقين ،فهما مهمّان في رصد مقدّمات الظاهرة، والجهود التمهيدية لوجودها لأنه لا توجد ظاهرة فنية مولودة من عدم . بل إنك لتقف على جذور الظاهرة ضاربة في أعماق تاريخ الفن المنتسبة إليه . وهذا ما يجعل للفصلين الأول والثانى أهميتها الفنية والتاريخية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولقد رجع الباحث إلى المصادر القديمة في البلاغة والأدب واللغة وأربت على الأربعين مصدراً .

كما رجع إلى المراجع الحديثة وعددها أحد عشر مرجعا .

وبعد ..

فنحن أمام جهد علمى فنى إزاء ظاهرة فنية بلاغية لها مكانتها في النقد الأدبي القديم ، وهي ظاهرة كانت في حاجة إلى هذا الجلاء والعرض الفني والمناقشة النقدية .

ولست أدرى هل كان لنا أن نطمح إلى مطالبة المؤلف بالمضي مع الظاهرة إلى ما بعد عصر المرزوقي [توفي أبو على أحمد ابن محمد المرزوقي سنة ٤٢١ هـ]؟ .

لقد شرح المرزوقي نظريته في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام من بين جملة شروحه لطائفة من القضايا الفنية . وهو بذلك لم يبعد عن المناخ الفنى لسابقيه : الآمدى والجرجانى ، فلقد أشار إليها الأول في معرض موازنته بين علمين من أعلام الشعر في عصره هما : البحترى وأبو تمام (٨) ، وأشار إليها الثاني في معرض حديثه وموازنته بين المتنبى وخصومه (٩) .

وجرى المرزوقي في المضمار نفسه أيضاً (١٠) . وكان ذلك في الربع الأول من القرن الخامس الهجرى .

وهنا نعود إلى طموحنا الذى نسوقه في شكل تساؤل للمؤلف:

ماذا بعد عصر المرزوقى ؟ ماذا بعد الربع الأول من القرن العشرين ؟ .

هل وقف البلاغيون والنقاد القدامي عند هذا الحد ؟

ثم هل لنا أن نطلب من المؤلف طموحاً آخر يتمثّل في مقولة نسوقها بايجاز :

ما رأى النقد الحديث في فن الشعر حول هذه النظرية ؟

إلى أى حد يمكن القول بأن شيئا ما ــ كثيرا أو قليلا ــ مازال باقيا في نقد الشعر الحديث من هذه النظرية ؟

إن هذه التساؤلات غريبة بعيدة ــ حقا ــ عن موضوع البحث الذى بين أيدينا لكن من حقنا أن نزعم أنها خطوة جديدة ليست بعيدة عن طموح المؤلف .

الهوامش

(١) الموازنة بين الطائيين ، الآمدى ، ت السيد صقر القاهرة ١٩٦٥ ٦/١

(٢) ص ١٣٠ [دار العلوم ــ الرياض ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠] .

(٣) ص ١٢١ ــ ١٣٨

(٤) ١٧٨ ــ ١٨٨ .

(٥) ١٨٩

(٦) ١٩٢

(٧) ص ٢٣٨

(٨) الموازنة بين الطائيين (١ــ٢) ت السيد صقر ، دار المعارف ١٩٦٥ .

(٩) الوساطة بين المتنبى وخصومه ت أبى الفضل إبراهيم والبجاوى ، ط ٢ القاهرة .

(١١) شرح ديوان الحماسة لأبى تمام ، ت أحمد أمين وهارون ، القاهرة ١٩٥١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحــدث اصدارات :

المكتبة الصغيرة :

العــدد ٣٣ ــ

امــام الصابرين

أحمد بن حنبل

بقلم: عبد العزيز المسند